15me Année No. 711

Lundi — 17 — 2 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١١ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ١٧ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

جامع وجامعـــة . . .

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

أوشك الترام أن يفوته ، ولكنه أدركه بعد جهد ومخاطرة ، فاستقر فى مكانه وهو يلهث ويرسل اللعنات على الترام :

— يقطعه ويقطع أيامه !

قال صاحبه وهو أصغر منه : ولم ؟ إنه قرب البعيد ويسر الأمور .... لقد كان الانتقال من اصابة سفرة فى أرض مهجورة ، فأصبحنا نأتى منها ونعود إليها فى ساعة أو أقل من الساعة !

قال الشيخ : ولهذا « عفرت » الدنيا . ركبها عفاريت ، وقل خيرها . وقد كنا قبل أيامه نشترى رطل اللحم بقرش وربطة الملوخية الكبيرة بمليم . فجاء هذا الزمن « المقرت » الذى لم يدع للفلوس بركة ولا فى شىء من الأشياء خيراً يرتجى ... ووافرحتاه بعد ذلك بهذه المراحل التى تنطوى فى غمضة عين !

مثل هذا الحديث قد سمع فى القاهرة مرات ، ومثل هذا القياس يجرى فى النظر إلى كثير من الأمور ، وهو من الأحكام التى تستند إلى مقارنات شعورية ولا تستند إلى مقارنات منطقية ، لأنها ترضى الشعور لأول وهلة ولا ترضى العقل بعد النظرة الأولى .

ومن قبيل هذه الأحكام الشعورية مقارنات بين ماضى الجامع الأزهر وحاضره ، قرأتها لفاضل من كتاب الرسالة فى عددها الماضى وفيها يقول كاتبها — الأستاذ على الطنطاوى — بمناسبة حادث الشيخ أبى العيون : « .. ما عرفنا علماء الأزهر إلا ملوكا ، لا أمر فوق أمرهم ، ولا كلمة بعد كلمتهم ، إذا قال واحدهم لبّت الأمة ، وإذا دعا هب الشعب ، وإذا أنكر على الحكومة منكراً أزالت الحكومة المنكر ، وإذا أمرها بمعروف أطاعت بالمعروف ، فكانوا هم السادة وهم القادة ، وهم أولو الأمر : هذى حكومة مصطفى فهمى باشا تستجيب سنة ١٨٩٩ لرغبة الإنكليز فى إضعاف القضاء الشرعى فتضع مشروعها المشهور لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلى إلى المحكمة الشرعية العليا ويبلغ من ثقتها بقوتها وتأييد مجلس الشورى لها ألا تبالى باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع وتمرضه على المجلس — وكان من أعضائه الشيخ حسونه النواوى الذى جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية — فيقول كلمة موجزة فى إنكار المشروع وينسحب من المجلس ويتبعه القاضى التركى فتكون هذه الكلمة كافية لقتل المشروع .. » .

ثم قال بعد سرد الأمثلة من هذا القبيل وغير هذا القبيل : « هذا ما عرفناه . فما الذى جرى حتى تبدلت الحال ووقع حادث الشيخ أبى العيون ؟ ما الذى نزع هيبة المشايخ من القلوب وأنزلهم من مكانتهم عند الحكام ؟

وأجاب قائلا : أنتم أيها الأزهريون فعلتم هذا كله .... أنتم

أيها الأزهريون جميعاً جعلتموها جامعة فكان فيها ما يكون فى الجامعات ، وقد كانت جامعاً لايكون فيه إلا ما يكون فى الجامع . لقد كان الأزهر لله فصار للناس ، وكان للآخرة فغدا للدنيا ، وكان بجيبه الطالب يبتغى العلم وحده : يتبلغ بخبز الجراية ، وينام على حصير الرواق ، ويقرأ على سراج الزيت ، ولكنه لا ينقطع عن الدرس والتحصيل .. » .

هذه هى العلة كما رآها الفاضل صاحب المقال ، وهى إذا دلت على شىء فإنما تدل على أن الجامع الأزهر ينبغى أن يشتمل على جامعات عدة لا على جامعة واحدة ، لينشر فى الأرض من علم المنطق ، ومن صحة القياس ، ما يعصمهم من خطأ التعليل فى أمره ، بله جميع الأمور .

فلا علاقة لسراج الزيت وبين ما كان عليه الأزهر أو ما صار إليه ، إلا كالعلاقة بين الترام وقلة البركة فى المبيعات والمشتريات .

ولم يتغير الحال فى جملته اليوم عما كان عليه فى شىء من تلك الأشياء التى عددها الأستاذ .

ففى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ حدث أن مديراً للأوقاف جلس على كرسيه فى صحن الجامع الأزهر وجىء إليه بفريق من الأزهريين بجلدهم على مرأى ومسمع من الناس .

وفى العصر الحاضر لايزال أقطاب الجامع الأزهر قادرين على منع كل تشريع يرون فيه مساساً بأحكام الدين . وقد منعوا تشريعات كثيرة أعدتها الوزارات فى شئون الزواج والطلاق ، واشتركوا فى درس كل قانون يدور على الميراث أو الوصية أو الوقف أو حقوق الآحاد المرتبة على أحكام الدين .

وفى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ أنكرت فئة من علماء الأزهر تشريح الجثث فى مستشفى « قصر العينى » فلم يكن هذا الإنكار فصل الخطاب .

وفى ذلك الزمن — بل فى جميع الأزمان منذ بناء الجامع الأزهر — كانت الصلة بين طلاب الأزهر وعلمائه وبين الحكومات المتوالية على أوثق ما تكون . لأن جامعاً كالجامع الأزهر لاينبغى أن تنقطع الصلة بينه وبين حياة الجماعة الإسلامية ، إذ ليس فى الإسلام انقطاع عن الدنيا على النحو المعروف فى غيره من الديانات

فكان لمذهب الشيعة شأنه فى عصر الفاطميين ، وكان لمذهب أبى حنيفة شأنه فى عهد العثمانيين ، وكان العاملون فى الحياة العامة من أقطاب الأزهر أكثر وأكبر من التنسكين المنقطعين عن شئون تلك الحياة ، وليس الشيخ المراغى — مثلا — بمضارع فى غناه للشيخ العباسى وهو من مشايخ الأزهر فى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ .

فلا علاقة لسراج الزيت بما كان عليه الأزهر وما صار إليه ، وليس بصحيح أن شأن الجامع الأزهر فيما مضى كان أعظم من شأنه اليوم ، ولا أن المقبلين على الحياة العامة من أقطابه فى عصرنا هذا أكثر ممن كانوا يقبلون عليها فى العهود الغابرة ، بالقياس إلى عددهم فى كل زمان .

والصحيح أن هيبة العالم الدينى تتوقف على مكانة الدين فى النفوس لا على ما يأكله العالم من خبز الجراية أو ينام عليه من أصناف الفراش .

وفى البلاد الأوربية لاينام رؤساء الأديان على الحصير ولايقرأون على السراج ولا ينقطعون عن الشؤون العامة ، ولكن هتلر فى جبروته كان يتقيهم ويداريهم ويتقبل منهم ما لم يكن يتقبله من كبار القادة والوزراء . وكذلك كان موسوليني يفعل فى دولته الفاشية ، وكذلك فعل ساسة الروس الشيوعيين فى العهد الأخير بعد أن جربوا مغاضبة الكنيسة ومحاسنتها ، ثم اختاروا بين الخطتين .

وقد يتقى الرجل لمكانته فى أمته وفى سائر الأمم وإن لم يكن من رجال الدين . فإن تولستوى — كاتب الروس الأشهر — لم يكن ممن يصانعون القيصر ولا ممن يصانعون أحبار الكنيسة الروسية ، وكان مع هذا يخاطب القيصر بكلام لا يباح لغيره ، فيتقبله ويتغاضى عنه ، لمكانة الرجل العالية بين قراء الأدب فى القارة الأوربية ، وفى العالم بأسره .

فرجل الدين يستطيع أن يكون للدين وللدنيا ولا يخسر مكانته ولا يحط من هيبته ووقاره ، ويستطيع أن يكون جامعياً بالنسبة إلى الجامعة الأزهرية كما يكون جامعياً بالنسبة إلى الجامع الأزهر ، فيزداد ولا ينقص بهذا الانتساب .

إذ الواقع أن صبغة الجامعة هي التي ميزت الأزهر بين الجوامع في العصور الماضية كما ميزته في العصر الحاضر . فليس أكثر من الجوامع في القاهرة ولا في الأقطار الإسلامية ، ولكن الأزهر وحيد بينها لأنه جامعة علمية لا لأنه مسجد مقصور على الصلاة والعبادة .

وأيا كان القول في هذا فالرجوع إلى الحصير أو إلى سراج الزيت أو إلى سومعة النسك لن يعالج شيئاً من الأشياء ، ولن يستطاع ولن يحمد إذا استطيع .

وخير ما يطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعية العلمية ، وأن يزداد نصيبه من المشاركة في الأعمال الدنيوية ، وأن يحال بينه وبين العزلة والانقطاع .

ونحن من المؤمنين بماضي الأزهر العظيم ، ولكننا أشد إيماناً بمستقبله بنا بماضيه . لأن وظيفته في الماضي كانت وظيفة واحدة لا منازع فيها . أما وظيفته في المستقبل فوظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان في حكمة الإسلام وحكمة العلم الذي يعمل به المسلمون وغير المسلمين .

فالجامع الأزهر أحق مكان بأن يحيي الفلسفة القديمة التي عاشت فيه وحده يوم ماتت في جوانب الدنيا بأسرها ، ومن إحياء هذه الفلسفة أن يزاوج بينها وبين مستحدثات التفكير في كل عصر وبين كل قبيل .

والجامع الأزهر أحق مكان بتوسيع النطق الذي تمكنت فيه أسسه وتهيأت لما يضاف إلى هذه الأسس من أركان جديدة ، في مذاهب الناطقة المحدثين .

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يعرض العقيدة الاسلامية المستنيرة على أهل الشرق والغرب ، لأنه أقدر على هذه الرسالة من الآحاد أو الجماعات التي تصدت لها في غير مصر من الأقطار الإسلامية .

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يقصده الصيني من أقصى الشرق كما يقصده « الفندلاندي » من أقصى الشمال ، أو يقصده الزنجباري من أقصى الجنوب . لأنهم يتعلمون فيه ما لا يجدونه في غيره من الجامعات المقصورة على العلوم الطبيعية .

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يتدارك عيب العصر الحاضر وهو العيب الجسام الذي يتمثل في العزل بين عالم العقل وعالم الروح . فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم ، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين .

ونحن كبيرو الرجاء في إنجاز هذه المهمة العظمى بعد أن صارت مشيخة الأزهر إلى أستاذ الفلسفة الإسلامية على أحدث المناهج العصرية . فإنه أقدر الناس على أن يحقق للجامع الأزهر وظيفتيه في ثقافة العقل وثقافة الروح ، وأعوانه من الأزهريين غير قليلين .

فليكن الأزهر جامعة ما دام .

بل ليظل الأزهر جامعة كما كان منذ كان .

وفي ذلك الخير كل الخير والبركة كل البركة . أما أن تكون البركة مرهونة بالحصير وسراج الزيت فهو قول لا بركة فيه ولا يدل على الحاجة إلى شيء في الأزهر ألزم من الحاجة إلى توسيع الجامعة لتحويل الأفكار في الشرق من مقارنات الشعور إلى مقارنات العقول ، ولا سيما في المقارنة بين الجوامع والجامعات .

عباس محمود العقاد

مجلس مديرية جرجا بسوهاج

يعلن في المناقصة العامة توريد جهازى راديو وخامات نجارة ونسيج وأحذية وخيزران لازمة لمؤسسة البنين في عام ١٩٤٦/١٩٤٧ وترسل الكشوف والشروط لمن يطلبها على ورقة مدموغة فئة ثلاثين مليما بعد دفع الثمن المحدد وقدره مائة مليم. وآخر ميعاد لفتح مظاريف العطاءات الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ٨ مارس سنة ١٩٤٧ ٦٧٧٧